منتـــجات القطن

القُطْنُ أَهَمُّ مَحاصِيلِ الأَلْيافِ جَمِيعاً ، وَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَبِيهٌ يُمْكِنُ أَنْ يَحُلَّ مَحَلَّهُ ؛ وَلِذٰلِكَ سُمِّيَ « مَلِكَ الْمَحاصِيلِ » . وَيَدْخُلُ شَعْرُ الْقُطْنِ وَبُذُورُهُ فِي صِناعاتٍ عِدَّةٍ تَقُومُ بِهَا مَصانِعُ وَمَعامِلُ مُنْتَشِرَةٌ فِي أَنْحاءِ الْعالَمِ . وَلَقَدْ اشْتَهَرَتْ إِنْجِلْتِرَا بِكَثْرَةِ مَصانِعِ الْغَزْلِ وَالنَّسْجِ بِهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَسْتَوْرِدُ الْقُطْنَ الْغُفْلَ (الْخَامَ) مِنَ الْبُلْدانِ الأَجْنَبِيَّةِ كَأَمِيرِيكَا وَالْهِنْدِ وَمِصْرَ . وَتُصْنَعُ مِنْ شَعْرِ الْقُطْنِ جَمِيعُ الْمَنْسُوجاتِ الْقُصْنِيَّةِ ، وَيَدْخُلُ السَّكَلاَرِيدِسُ وَمَا يُمَاثِلُهُ مِنَ الأَقْطانِ الْمِصْرِيَّةِ الْجَيِّدَةِ النَّيْلِيَّةِ فِي صِناعَةِ الْمَنْسُوجاتِ الْحَرِيرِيَّةِ .

أَمَّا تارِيخُ هٰذِهِ الصِّناعَةِ فَلاَ يُعْرَفُ بِالتَّحْدِيدِ ، وَقَدْ قالَ الْمُؤَرِّخُ الشَّهِيرُ هِيرُودُوتُسُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْهُنُودِ : « إِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ نَوْعاً مِنَ النَّباتِ يُثْمِرُ بَدَلاً مِنَ الْفاكِهَةِ صُوفاً أَدَقَّ وَأَجْوَدَ مِنْ صُوفِ الْغَنَمِ ، وَمِنْهُ يَصْنَعُونَ مَلاَبِسَهُمْ » . وَظاهِرٌ مِنْ قَوْلِهِ أَنَّهُ كانَ يَقْصِدُ الْقُطْنَ . وَيَقُولُونَ إِنَّ تِلْكَ الصِّناعَةَ بَدَأَتْ فِي أَسْبانْيا فِي الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ وَانْتَعَشَتْ قَلِيلاً ، ثُمَّ خَمَدَتْ ثانِيَةً . أَمَّا فِي سائِرِ دُوَلِ أُورُوبَّا مِثْلِ إِيطالْيَا وَأَلْمانْيَا فَكانَتِ الْمُحاوَلاَتُ بَطِيئَةً وَغَيْرَ مُجْدِيَةٍ .

وَعِنْدَ ما كَشَفَ كُولُمْبُوسُ الدُّنْيا الْجَدِيدَةَ ، وَجَدَ سُكَّانَها يَلْبَسُونَ الْمَلاَبِسَ الْقُطْنِيَّةَ . وَمِمَّا يَسْتَرْعِي النَّظَرَ أَنَّ مُحاوَلَةَ التَّفَنُّنِ فِي صِناعَةِ الأَقْطانِ قَدْ قامَتْ بِهَا عِدَّةُ أَقْوامٍ عَلَى انْفِرادٍ ، وَفِي بِقاعٍ مُتَرامِيَةِ الأَطْرافِ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا اشْتِرَاكٌ أَوْ تَماوُنٌ . وَيُؤَكِّدُ الْبَعْضُ أَنَّ طَرِيقَةَ غَزْلِ الْقُطْنِ وَنَسْجِهِ قَدِ اخْتُرِعَتْ مَرَّتَيْنِ عَلَى الأَقَلِّ .

وَالْغَزْلُ هُوَ تَحْوِيلُ شَعْرِ الْقُطْنِ إِلَى خُيُوطٍ ذَاتِ قُوَّةٍ وَمَتانَةٍ . أَمَّا النَّسْجُ فَهُوَ صِناعَةُ الْمَلاَبِسِ وَغَيْرِهَا مِنْ هٰذِهِ الْخُيُوطِ ، وَتَجْرِي الْعَمَلِيَّتانِ بِوَساطَةِ آلاتٍ كَبِيرَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ .

وَيَدْخُلُ الْقُطْنُ فِي صِناعاتٍ أُخْرَى غَيْرِ صِناعَةِ الْمَلاَبِسِ ، مِنْهَا الْقُطْنُ الطِّبِّيُّ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يُخْلَطُ مَعَ الصُّوفِ لِصِناعَةِ الْقُبَّعاتِ ، كَمَا أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي صِناعَةِ الْمُشَمَّعِ وَالأَشْرِطَةِ لِمَصابِيحِ الْبِتْرُولِ

وَالزَّيْتِ وَفِي عَمَلِ فَتَائِلِ الشَّمْعِ وَالْحِبَالِ وَالسَّجَاجِيدِ، وَفِي صِنَاعَةِ (السَّلْبُولُوزِ) لِعَمَلِ الْوَرَقِ وَأَشْرِطَةِ التَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ، كَمَا يَدْخُلُ فِي عَمَلِ الْبَارُودِ وَالْمَوَادِ الْمُفَرْقَعَةِ وَالْجِلْدِ الصِّنَاعِيِّ وَقِلَاعِ الْمَرَاكِبِ وَنَسِيجِ الْخِيَامِ وَزَكَائِبِ الدَّقِيقِ وَفِي صِنَاعَاتِ تَنْجِيدِ الْأَثَاثِ. وَيَدْخُلُ الْقُطْنُ الْمِصْرِيُّ أَيْضًا فِي عَمَلِ إِطَارَاتِ عَجَلِ السَّيَّارَاتِ «كَاوِتْشُوكِ» (دَنْلُوبْ وَجُودْيِيرْ). وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ الْقُطْنُ فِي أَمْرِيكَا فِي عَمَلِيَّاتِ رَصْفِ الشَّوَارِعِ.

أَمَّا زَيْتُ بَذْرِ الْقُطْنِ فَمَحْصُولٌ إِضَافِيٌّ لَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهِ إِلَّا فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَخَذَتْ صِنَاعَتُهُ فِي الِانْتِشَارِ. وَاسْتِخْرَاجُ الزَّيْتِ مِنَ الْبَذْرِ يَجْرِي فِي مَعَاصِرَ خَاصَّةٍ. وَأَوَّلُ مَعْصَرَةٍ كَبِيرَةٍ أُنْشِئَتْ بِمِصْرَ هِيَ مَعْصَرَةُ شَرِكَةِ الزُّيُوتِ وَالْأَصْبَانِ الْمِصْرِيَّةِ الَّتِي تَأَسَّسَتْ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَامَ ١٨٨٩، وَقَدْ تَأَسَّسَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عِدَّةُ شَرِكَاتٍ أُخْرَى.

وَتَشْتَغِلُ الْمَعَاصِرُ غَالِبًا مَا بَيْنَ سَبْعَةِ شُهُورٍ وَنِصْفٍ وَتِسْعَةِ شُهُورٍ فِي الْعَامِ، وَيَظَلُّ الْعَمَلُ مُسْتَمِرًّا بِهَا لَيْلَ نَهَارَ بِلَا انْقِطَاعٍ. وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أَنَّ ثُلُثَيْ بَذْرِ مَحْصُولِ الْقُطْنِ الْمِصْرِيِّ يُصَدَّرُ إِلَى الْخَارِجِ، وَسُدْسَهُ يُحْفَظُ كَبَذْرٍ لِلْمَحْصُولِ الْجَدِيدِ، وَلَا يُعْصَرُ إِلَّا السُّدْسُ الْبَاقِي وَيُصَدَّرُ الزَّيْتُ الْمِصْرِيُّ غَالِبًا إِلَى إِنْجِلْتِرَا وَتُرْكِيَا.

وَزَيْتُ الْقُطْنِ أَصْفَرُ اللَّوْنِ عَدِيمُ الرَّائِحَةِ بِهِ قَلِيلٌ مِنْ طَعْمِ الْبُنْدُقِ، وَتُوجَدُ مِنْهُ عَادَةً فِي الْأَسْوَاقِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ. وَكُلُّ ١٠٠ كِيلُو جِرَامٍ مِنْ بُذُورِ الْقُطْنِ تُعْطِي ٢٠ كِيلُو جِرَامًا تَقْرِيبًا مِنَ الزَّيْتِ الْفُقَّلِ (الْخَامِ)، وَهَذَا الْمِقْدَارُ يُمْكِنُ أَنْ يُحْصَلَ مِنْهُ عَلَى ١٨ كِيلُو جِرَامًا مِنَ الزَّيْتِ النَّقِيِّ.

وَلِاسْتِخْرَاجِ الزَّيْتِ تُوضَعُ الْبُزُورُ فِي «الْعَجَرَشَةِ» وَهِيَ وِعَاءٌ كَبِيرٌ بِأَسْفَلِهِ أُسْطُوَانَتَانِ مِنَ الصُّلْبِ بِكُلٍّ مِنْهُمَا تَجْوِيفٌ حَلَزُونِيٌّ، وَعِنْدَ إِدَارَةِ هَاتَيْنِ الْأُسْطُوَانَتَيْنِ تُضْغَطُ الْبُذُورُ بَيْنَ ثَنَايَا التَّجَاوِيفِ فَتَتَفَتَّتُ وَيَنْفَصِلُ الْقِشْرُ عَنِ اللُّبِّ. ثُمَّ يُنْقَلُ اللُّبُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مِطْحَنَةٍ حَجَرِيَّةٍ تُشْبِهُ مِطْحَنَةَ الْفِلَالِ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى مَسْحُوقٍ دَقِيقٍ نَاعِمٍ، وَمِنْهَا يُنْقَلُ إِلَى أَوَانٍ تُسَخَّنُ بِالْبُخَارِ إِلَى دَرَجَةٍ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ ٨٥، ٩٥° حَيْثُ يَتَحَوَّلُ الْمَسْحُوقُ إِلَى عَجِينَةٍ قَابِلَةٍ لِلْعَصْرِ.

فَتُوضَعُ الْعَجِينَةُ فِي أَكْيَاسٍ مِنْ نَسِيجٍ خَاصٍّ يُصْنَعُ مِنْ وَبَرِ الْجِمَالِ وَتُوضَعُ تَحْتَ مِكْبَسٍ ضَاغِطٍ فَيَسِيلُ الزَّيْتُ غَيْرَ نَقِيٍّ وَيَبْقَى الْكُسْبُ .

وَيُضَافُ إِلَى هٰذَا الْكُسْبِ قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ يُعَادُ ضَغْطُهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ جَمِيعُ الزَّيْتِ . أَمَّا الْكُسْبُ فَيُضْغَطُ وَيُجَفَّفُ عَلَى هَيْئَةِ أَلْوَاحٍ كَبِيرَةٍ وَيُسْتَعْمَلُ طَعَامًا لِلْمَاشِيَةِ . وَيُسْتَعْمَلُ الزَّيْتُ النَّقِيُّ فِي الطَّهْيِ وَفِي عَمَلِ الزُّبْدِ الصِّنَاعِيِّ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاكِبِ الطِّبِّيَّةِ ، وَيَسْتَعْمِلُهُ الْكَثِيرُونَ بَدَلًا مِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ فَيَضَعُونَهُ فِي عُلَبِ السَّرْدِينِ لِحِفْظِهِ . وَيَدْخُلُ كَذٰلِكَ فِي عَمَلِ أَسْطُوَانَاتِ الْحَاكِي وَفِي صِنَاعَةِ الصَّابُونِ وَالْأَصْبَاغِ وَمَوَادِّ الطِّلَاءِ « الْوَرْنِيشِ » .

وَقَدْ ذَكَرَ الْعَالِمُ النَّبَاتِيُّ ابْنُ الْبَيْطَارِ أَحَدُ عُلَمَاءِ النَّبَاتِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهِجْرِيِّ كَثِيرًا مِنَ الْوَصَفَاتِ الطِّبِّيَّةِ لِبُذُورِ الْقُطْنِ وَشَعْرِهِ وَوَرَقِهِ ، لَا يَزَالُ بَعْضُ النَّاسِ يَسْتَعْمِلُهَا إِلَى الْيَوْمِ .

عـــروس البـــحر

لهـــانس أندرسون

فِي أَقْصَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، تَعِيشُ عَرُوسُ الْبَحْرِ الصَّغِيرَةُ ، مَعَ وَالِدِهَا مَلِكِ الْبَحْرِ ، وَجَدَّتِهَا الْمَلِكَةِ الْعَجُوزِ ، وَأَخَوَاتِهَا عَرَائِسِ الْبَحْرِ الْخَمْسِ . وَكَانَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَةُ ، وَالرِّيَاحُ الْعَاصِفَةُ خَدَمًا لِوَالِدِهَا ، وَرَهْنَ إِشَارَتِهَا . وَكَانَ قَصْرُ وَالِدِهَا فِي الْمُحِيطِ ، فَخْمًا عَظِيمًا ، يَفُوقُ أَيَّ قَصْرٍ عَلَى الْأَرْضِ . وَكَانَتِ الْوَلَائِمُ وَالْحَفَلَاتُ تُقَامُ كُلَّ يَوْمٍ ، فَتَشْتَرِكُ فِيهَا الْعَرَائِسُ السِّتُّ ، وَتَتَحَلَّى بِعُقُودِ الْمَرْجَانِ ، وَبِجَانِ اللُّؤْلُؤِ ، وَتَتَهَادَى مُعْجَبَةً بِذُيُولِهَا الذَّهَبِيَّةِ الْجَمِيلَةِ .

وَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْأَخَوَاتِ ، أَنْ تَجْلِسَ حَوْلَ جَدَّتِهَا الْمَلِكَةِ الْعَجُوزِ ، تَسْتَمِعُ إِلَى مَا تَقُصُّهُ عَلَيْهَا مِنْ قِصَصِ الْبَحْرِ وَنَوَادِرِهِ ، وَكَانَتْ صُغْرَاهَا تُلِحُّ فِي طَلَبِ قِصَصٍ عَنِ الْأَرْضِ ،